سياسة الاندلس الافريقية

أيام المنصور بن أبي عامر

د. أحمد ابراهيم الشراوى

سياسة الاندلس الافريقية
أيام المنصور بن أبي عامر

تقديم

المنصور بن أبي عامر :

لم تثر شخصية من شخصيات التاريخ العربي الاسلامي في الاندلس ما أثارت شخصية المنصور بالله محمد بن أبي عامر ، حتى وقد المؤرخين الاسبان قدر ما أثارت شخصية المنصور بالله محمد بن أبي عامر يصلهم بلقبونه بالدكتاتور . ولاشك أن شخصية المنصور الفذة لجديرة بأن يختص البلغشون ، ويختلف النقاد والمؤرخون ، فقد دوخ الدنيا في عصره ، وبعد أن وطد الاندلس الاسلامي وأحكم قبضته على البلاد ، وضرب بيد من حديد على كل من راودته به بالخروج عن طاعته ، جاب شبه الجزيرة الايبيرية من أقصاها الى أقصاها ضاربا في يلات المسيحية الشمالية شرقا وغربا ، من اقليم قطالونيا شرقا الى كورونيا في الشمال الغربي . كما وصل الى العديد من المدن في الغرب - بأراضي البرتغال الحالية - ها للطانه ، فدانت له بالتبعية والجزية صاغرة . فلاعجب بعد هذا كله أن أصبح ة مميزة معروفة في الادب الاسباني المسيحي ويكون موضوعا خصبا تدور حوله الروايات صيبي .

لابن أبي عامر مواقف كثيرة في داخل دولته وبين رجالاتها تتسم بالحزم الشديد انا بالعنف والقوة ، واننا نرى أن المنصور كان محقا في مواقفه تلك ، فقد كان الدولة يتربصون بها ، وكان لابد من يد قوية حازمة لتحقيق وحدة الدولة وقوتها في ل وللضرب على أيدي الطامعين من هؤلاء الاعداء في الخارج ، وكان المنصور هو اليد القوية الحازمة .

ا استطاع المنصور في النهاية أن يحكم قبضته على مقاليد الامور في كافة أرجاء لة ليتمكن بعد ذلك من الالتفات للشئون الخارجية التي كان على رأسها دون شك الدويلات المسيحية في شمال شبه الجزيرة الايبيرية والتي لم تفتأ تنتهز الفرص المناسبة جمة المسلمين بين الحين والحين ، فوالى المنصور غزو تلك الدويلات بطريقة سريعة قة ، حتى أن غزواته هذه بلغت اثنتين وخمسين غزوة لايكاد يفرغ من غزوة الا استعد رى . وقد حقق المنصور انتصارات باهرة في هذه الغزوات العديدة ، ففتح معاقل ست على من سبقه ، وملأ الاندلس غنائم وسبيا فحقق رخاء وازدهارا اقتصاديا للبلاد [1].

---

(١) انظر للمؤلف البحث المنشور بكتابه : دراسات في تاريخ اسبانيا في العصور الوسطى

أما سياسته تجاه بلاد المغرب فقد كان لها ولاشك وضع خاص لديه ، ذلك أن بلاد المغرب أولا بلاد اسلامية ، وثانيا أن المنصور اعتمد عليها كثيرا فى امداده بالقوات العسكرية اللازمة حيث جند فرقا كبيرة من البربر وبالذات قبائل زناته فى جيشه ، كما كان البربر يحتلون مراكز عديدة فى قطاعات الدولة المختلفة فى داخل الاندلس ، ثم ثالثا أنها كانت الميدان الرئيسى للصراع بين الخلافتين الاموية والفاطمية(٢) . ولذا فقد أولى المنصور بلاد المغرب عناية خاصة ، الا أن هذا لم يمنع أن تكون سياسته تجاه المغرب ما هى الا حلقة من حلقات ذلك الصراع الطويل المرير . ولهذا فلا بد من تبيان بعض جوانب هذا الصراع فى المرحلة السابقة على عهد المنصور .

٢ - بين الخلافتين الاموية والفاطمية :

يرجع الفضل الاول فى نجاح الدعوة الاسماعيلية ببلاد المغرب الى الداعية أبى عبد الله الشيعى المؤسس الحقيقى للدولة الفاطمية بالمغرب . وكان المغرب فى ذلك الوقت تسيطر عليه ثلاث دول هى :

١) دولة الاغالبة بالمغرب الادنى أو افريقية (١٨٤ - ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩م) وكان أمراؤها يحكمون باسم الخلافة العباسية ، وعاصمتهم الرسمية مدينة القيروان ، بينما كانت عاصمتهم الخاصة أو الشخصية التى يقيمون فيها هى مدينة رقادة جنوبى القيروان بأربعة أميال . وأول من ولى منهم ابراهيم بن الاغلب بن سالم التميمى ، وآخرهم زيادة الله الثالث الاغلبى(٣)

٢) الدولة الرستمية بالمغرب الاوسط (١٤٤ - ٢٩٦ هـ / ٧٦١ - ٩٠٩م) ومؤسسها هو عبد الرحمن ابن رستم الفارسى ، وقد أسس مدينة تاهرت فى اقليم وهران واتخذها عاصمة لدولته . وكانت هذه الدولة تدين بمبادئ الخوارج على مذهب الاباضية(٤) .

---

(٢) كانت بلاد المغرب تحت سيطرة الخلافة الفاطمية الشيعية فى الوقت الذى كانت فيه الخلافة الاموية فى الاندلس تدين بالمذهب السنى مما جعل الامويين والفاطميين فى صراع مستمر . ولم يكن صراعا بين خلافتين متجاورتين بقدر ما كان صراعا بين مذهبين مختلفين ، اذ أن المذاهب الدينية فى ذلك الوقت كانت تقوم مقام المذاهب السياسية الآن - أنظر : مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ص ١٩٤ .

(٣) أنظر : الحونس فى أخبار افريقية وتونس ، البيان المغرب جـ ١ ص ١٢٣ - ١٥٤ ، سيرة الاستاذ جوذر ص ١٥٠ حاشية ٦ ، وأيضا :
Félix Pareja ; Islamologia, T.I, pP. 136 - 137 & Enc. of Islam , art. Aghlabides , by G. Demomlynes .

(٤) البيان المغرب جـ ١ ص ٢٧٨ وما بعدها ، وانظر : الدكتور عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطميين وسقوطها ص ٨٤ ، ٩٣ وما بها من هوامش وشروح قيمة ، وراجع أيضا البحث الذى

ولة الادارسة بالمغرب الاقصى (١٧٢ - ٣٦٣ هـ / ٧٨٨ - ٩٧٤م) وهى دولة علوية أسسها
س بن عبد الله بن الحسن من ولد على بن أبى طالب وعاصمتها مدينة فاس التى أسسها
س هذا سنة ١٧٢هـ وأتمها ابنه ادريس الثانى .

بدأ أبو عبد الله الشيعى جهاده الحربى بمهاجمة دولة الاغالبة والاستيلاء عليها
كبير مشقة ، فعلى الرغم من قوة الاغالبة فى حوض البحر المتوسط الا أن تقونهم
خل افريقية كان ضعيفا ، وهذا ساعد على نمو حركة أبى عبد الله الشيعى وتمكنه من
حيلاء على بلادهم . وفر زيادة الله الاغلبى آخر أمرائهم الى مصر ، ودخل أبو عبد
مدينة رقادة ثم القيروان سنة ٢٩٦هـ ، وبذا ينتهى حكم الاغالبة بافريقية ليقوم
الدولة الفاطمية ، ويدخل الامام عبيد الله المهدى - أول الخلفاء الفاطميين -
ة رقادة سنة ٢٩٧ هـ ويتخذها عاصمة لدولته الجديدة .

أن الدولة الفاطمية فى ذلك الوقت كانت لا تزال مضطربة نا شئة وفى حاجة ماسة
استقرار وتدعيم ، وكان على الخلفاء الفاطميين أنفسهم أن يقوموا بتدعيم أركان هذه
ولة الجديدة فى المغرب . وأول عمل فى هذا السبيل قام به الخليفة المهدى (٢٩٧ -
هـ) وهو اغتيال الداعى أبى عبد الله الشيعى عام ٢٩٨ هـ أى بعد عام واحد من قيام
ولة الفاطمية(٥) . وأما العمل الثانى الذى قام به هذا الخليفة أيضا فهو بناء
ة جديدة لتكون عاصمة للدولة الجديدة ، ألا وهى مدينة المهدية(٦) .
العمل الثالث الذى دعم أركان الدولة الفاطمية فقد قام به الخليفتان القائم (٣٢٢ -
هـ) والمنصور (٣٣٤ - ٣٤١ هـ) وهو القضاء على ثورة أبى يزيد الخارجى(٧) .

نة ١٩٥٧ تحت عنوان : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، وما ورد به من حواشى مفيدة .
راجع المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٩٣ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٢٠ ،
ابن عذارى جـ ١ ص ٢٢٧ ، وأيضا :

André Julien ; Histoire de l'afrique du nord, P. 57.

راجع ما ورد حول تاريخ بناء هذه المدينة فى الحاشية رقم ٢ ص ٨ من بحث الدكتور
مختار العبادى المشار اليه هنا .

صاحب هذه الثورة هو أبو يزيد مخلد بن كيداد من قبيلة زناتة البربرية . نشأ فى توزر
وخالط الخوارج النكارية وهم من الاباضية ، ثم رحل الى مدينة تاهرت عاصمة بنى رستم
فاعتنق مذهبهم ودخل فى زمرتهم . وابتدأت دعوته للمذهب الخارجى عام ٣١٦ هـ وظل يدعو
الناس ستة عشر عاما حتى كثر أتباعه وقوى أمره فجاهر الدولة الفاطمية بالعداء سنة
٣٣٢ هـ ودعا لخليفة قرطبة الاموى عبد الرحمن الناصر . وقد سمى بصاحب الحمار لانه
كان يركب حمارا رمادى اللون ويجانبه أولاده الاربعة وزوجته التى كانت من أشد المخلصين
لدعوته - لمزيد من التفاصيل عن هذه الثورة ، راجع : البيان المغرب جـ ١ ص
٢٠٧ ، ابن الاثير جـ ٨ ص ١٦٥ ، ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٤٠ وما يليها .

الذى قاد الثورة الجامحة ضد الدولة الفاطمية الناشئة ، ودعا لخليفة قرطبة الأموى عبد الرحمن الناصر . وهكذا بدأ الصراع المكشوف بين الخلافتين ببلاد المغرب . وقد تمكن أبو يزيد هذا من الاستيلاء على القيروان ورقادة وتونس ، وانتهى بحصار العاصمة نفسها " مدينة المهدية " سنة ٣٣٤هـ واستمر حصارها ثمانية أشهر حتى اشتد الجوع بالاهالى فأكلوا الدواب والميتة وكثر هروبهم عن طريق البحر الى البلاد المجاورة . غير أن الظروف سرعان ما تغيرت فى صالح الفاطميين اذ انضمت اليهم قبيلة صنهاجة وهى العدوة التقليدية لقبيلة زناتة التى تناصر أبا يزيد[٨] ، فتغير ميزان القوى وهزم أبو يزيد ومات متأثرا بجراحه سنة ٣٣٦ هـ .

ويهمنا من هذا كله أن الامويين فى الاندلس استغلوا هذه الفرصة وبسطوا نفوذهم على طول الساحل الافريقى حتى الجزائر ، كما أقاموا قواعد عسكرية فى الثغور المطلة على جبل طارق مثل طنجة وسبتة ومليلة . كذلك عملوا على اصطناع رؤساء الدويلات الصغيرة التى كانت قائمة اذ ذاك فى المغرب الاقصى مثل أمير مدينة نكور " صالح بن منصور "[٩] ، ومثل الاثارة وقبائل زناتة ومغراوة ، كما استطاعوا اجتذاب حليف الفاطميين موسى بن أبى العافية الذى كان يحكم باسم الفاطميين فى هذه المنطقة ، فلم يلبث أن خلع طاعتهم ودعا لخليفة قرطبة الاموى وأرسل له بعض أسرى الفاطميين لعرضهم فى شوارع قرطبة[١٠] .

= المنشور بمجلة AL - Andalus , Vol. XI ano 1946 تحت عنوان La politica africana de Abd ul - Rahman III, P. 351.

(٨) راجع أصول هذا العداء وتفاصيله فى المقال القيم الذى نشره الدكتور حسين مؤنس فى مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة / العدد ١٠ ، مايو ١٩٤٨ تحت عنوان : ثورات البربر فى افريقية والاندلس بين سنتى ١٠٢ - ١٣٦ هـ (٧٢١ - ٧٥٣م) .
وانظر ما أورده ابن خلدون من تفاصيل حول المنازعات بين البربر البتر، والبربر البرانس فى كتابه : العبر ج ٦ ص ١٥٢ وما يليها . وراجع ما ورد عن قبائل البربر وتقسيماتهم بالمغرب الاقصى فى ص ٣٠ وما يليها عند : الشيخ الامين عوض الله : العلاقات بين المغرب الاقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الاسلاميتين مالى وسنغى - رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ١٩٧١م .

(٩) البيان المغرب ج ١ ص ٢٤٢ .

(١٠) Dr. Hasan Ibrahim Hasan: Relations between the Fatimids in north Africa and Egypt and Umayyads in Spain during the 4th. century A.H. (10 th. century A.D.) Bulletin of the Faculty of

أتى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي فيعمل على اعادة فرض النفوذ الفاطمي على المغرب
قص ويرسل قائده ومولاه جوهرا الصقلي الى هناك على رأس حملة قوية سنة ٣٤٧ هـ . ولقد
ح جوهر في تحقيق رغبة سيده فأخضع القبائل الثائرة في جبال الظلس حتى المحيط
للنطي ، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء على القواعد العسكرية الاموية التي حرص الامويون
ى التمسك بها نظرا لاهميتها الاستراتيجية ضد أي هجوم يقوم به الفاطميون على الاندلس(١١).

والواقع أن الفاطميين منذ قيام دولتهم بالمغرب كانوا خطرا كبيرا على بلاد
ندلس ، وقد فكروا بالفعل في غزو الاندلس ، واستخدموا في ذلك أساليب متعددة ابتداء من
عاية الشيعية واستخدام الجاسوسية المقنعة بقناع من المصالح المشروعة كالتجارة أو
علم أو السياحة الصوفية ، وانتهاء بالمواجهة العسكرية المكشوفة ، الا أن ذلك كله
يؤد الى نتيجة ايجابية ، لان بلاد الاندلس ظلت قوية التمسك بالعقيدة السنية عديدة
كراهية للمذهب الشيعي(١٢) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن بلاد الاندلس
ذلك الوقت كان يحكمها رجل ذو شخصية قوية بارزة ، بلغت البلاد في عهده ذروة القوة
لاستقرار وهو الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر الذي قام في هذا الصدد بأعمال
ايجابية فعالة لمحاربة النفوذ الفاطمي(١٣) .

كنا شعر الفاطميون باستحالة غزو الاندلس كما شعروا أن بقاءهم بالمغرب أمر محفوف
لمخاطر أمام وثبات البربر وتقلباتهم وأمام غارات الامويين ودسائسهم فاضطروا الى
لاء هذا الميدان والتحول شرقا الى مصر .

وفي عام ٣٥٨ هـ تمكن القائد جوهر الصقلي من الاستيلاء على مصر وتأسيس العاصمة
جديدة " القاهرة " التي انتقل اليها بعد ذلك الخليفة الفاطمي المعز لدين الله
٣٦١ هـ بعد أن عهد بولاية المغرب ليوسف بن بلكين بن زيري زعيم قبيلة صنهاجة .
دو أن تعيين الفاطميين ليوسف الصنهاجي هذا على امارة افريقية قد أثار غضب
فه جعفر بن علي بن حمدون ، فنراه يترك البلاد هاربا الى الاندلس ، وهناك في
لبة يلجأ هو وأخوه يحيى الى بلاط الخليفة الحكم المستنصر . ولقد رحب الخليفة

---

(١) الاستقصا جـ ١ ص ٨٢ وما بعدها ، حسن ابراهيم وطه أحمد شرف : المعز
لدين الله الفاطمي ص ٢٤ وما يليها .

(٢) راجع بحث الدكتور محمود علي مكي : التشيع في الاندلس - صحيفة المعهد المصري
للدراسات الاسلامية في مدريد ١٩٥٤ ، وأيضا : سيرة الاستاذ جوذر ص ١٧٥ ، دوزي
R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne, T.II, P. 125.

(٣) راجع تفاصيل هذه الفعال في بحث الدكتور مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو
المغرب والاندلس - صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ص ٢٠٥ - ٢٠٩ .

الاموى بلقائهما وعقد لهما على المغرب اذ وجد فيهما سلاحا جديدا يمكن استخدامه ضد الفاطميين وأنصارهم بالمغرب(١٤) . وبالفعل نرى خليفة الاندلس يرسلهما لمحاربة يوسف ابن بلكين بالمغرب ، ولكن يوسف استطاع أن ينتصر عليهما وأن يقتل جعفر عن طريق الحيلة . أما أخوه يحيى فقد فر الى مصر حيث أكرمه الخليفة الفاطمى العزيز بن المعز - واستمرت امارة افريقية حكما وراثيا فى بيت يوسف بن بلكين بن زيرى يستمد سلطانه الشرعى من خليفة مصر ، وظلت السيادة الفاطمية فى المغرب قائمة على مبدأ المنافسة بين القبائل حتى اذا ما انتهت هذه المنافسات وتصالحت القبائل استطاع المغرب أن يستقل عن مصر نهائيا .

وكانت سياسة العزيز نحو الاندلس عدائية أيضا ، ولا أدل على ذلك من الخطاب الذى أرسله الى الحكم المستنصر يهجوه فيه ، وقد رد عليه الخليفة الاموى بعبارة موجزة حاسمة تقول : « قد عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لاجبناك »(١٥) . وفى هذا اشارة الى الطعن فى نسبه .

هكذا كان الحال بين الخلافتين الاموية والفاطمية حينما تقلد المنصور بن أبى عامر مقاليد الامور بالاندلس ، فماذا كان موقفه ازاء هذا الامر .

سياسة الاندلس تجاه المغرب

١ - موقف المنصور فى أول عهده :

سار المنصور على السياسة الاموية التقليدية فيما يتصل ببلاد المغرب ، وهى سياسة الاحتفاظ بالعدوة المغربية تحت السيطرة الاندلسية لتكون خط دفاعه الامامى ضد الخطر الشيعى من هذه الجهة الجنوبية لبلاده . ولتحقيق هذه السياسة ترك الزعماء الوطنيين من البربر يحكمون البلاد كتابعين للدولة الاموية فى قرطبة مع ضرورة احكام السيطرة القوية على مدينة سبته دون غيرها(١٦) .

---

(١٤) ابن خلدون جـ ٤ ص ٨٢ - ٨٤ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ١ ص ١١٢ حيث ترد ترجمة جعفر بن على .

(١٥) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ ١ ص ٢٥٥ .

(١٦) حرص الخلفاء الامويون على تحصين الثغور الاندلسية الجنوبية المواجهة للمغرب مثل طريف والجزيرة الخضراء ، وكان يحاذى تلك الثغور بالعدوة المغربية مدينة سبتة ، ونظرا =

د أوضح صاحب " مفاخر البربر " هذه السياسة العامرية بقوله : " واقتصر محمد بن
ي عامر لاول قيامه على ضبط مدينة سبتة وما والاها بجند السلطان الاندلسي ، وقلدهـا
ار رجاله من أصحاب السيوف والاقلام على حسب الحاجة الى تغيير طبقاتهم وعول في حفـظ
وراء ذلك على ملوك زناته ومنحهم الجوائز والخلع وأكرم وفودهم ببابه وأثبت من رغب
هم في ديوانه فأحبوا محمدا وجدوا في المحاماة عن الدولة " (١٧) .

يظل المنصور حريصا على اتباع تلك السياسة في بلاد المغرب طوال مدة حكمه ، غير أن هذا
يمنع أحيانا من قيام المعارضة ضد النفوذ الاموي في هذه البلاد حتى من أمراء زناتـة
فاء المنصور والخلافة الاموية ، ولكن المنصور كان لها بالمرصاد فاتخذ من الجزيـرة
خضراء قاعدة عسكرية يشرف منها على سير العمليات الحربية في المغرب ، كما أمر أن
بنى له القصور والمنازل في طريقه اليها على غرار ما فعل في الطرق الحدودية الـى
الثغور الاندلسية شمالا .

كانت أول المدن المغربية التي دخلت في طاعة الامويين أيام المنصور هي مدينـة
سجلماسة فقد زحف خزرون بن فلفول الزناتي في جموع مغراوة اليها وهزم المعتز
أميرها من الخوارج الصفرية وقتله في رمضان سنة ٣٦٧ هـ ودخل المدينة واستولى على ما فيها
من مال وسلاح وقضى على دولة الخوارج الصفرية وأقام الدعوة للخليفة الاندلسي الاموي هشام
المؤيد بالله وأرسل اليه رأس المعتز مع كتاب الفتح .

ونلاحظ هنا أن هذه هي أول دعوة تقوم للمروانية بذلك الصقع الجنوبي ، وأن الخليفة الاموي
لم يساعد أمير مغراوة في عمله هذا ، الا أن الامير الزناتي قام بهذا العمل ليكسب
حكمه صفة شرعية . وعلى أي حال فعندما علم الخليفة الاموي بذلك عقد لخزرون على سجلماسة (١٨) .

لاهمية موقع هذا الثغر وخطورته فقد حرص الامويون على جعله هو وما حوله من ثغور في يد
أمير من الاسرة الاموية . ولعل أهمية سبتة قد زادت في عهد المنصور لانها بعد الصراع
العنيف بين قبائل زناتة ومتهاجة في العقد السابع من القرن الرابع الهجري لجأت
اليها قبائل زناتة باعتبارها مكان حصين وتابع للامويين حلفائهم ، وكان المنصور حريصا
على استمالة البربر وخاصة زناتة اذ كانوا له عونا وظهيرا فاتخذ منهم حاشيته وجنده
كما كان منهم الكثير من رجالات دولته - راجع المقري : نفح الطيب جـ ١ ص ٨٥٧ ،
العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ص ٢٠٠ .

(١٧) مفاخر البربر ص ١٢ .

(١٨) تقع مدينة سجلماسة على حافة الصحراء الكبرى في جنوب المغرب الاقصى ، وقد اندثرت
الآن وتقوم مكانها حاليا مدينة الريصاني في منطقة تافيلالت ، وقد اتخذتها
الدولة المغرارية (١٤٠ - ٣٤٩ هـ) عاصمة لها ، وهي دولة خارجية صفرية وظلت مدينة
سجلماسة بأيديهم حتى سنة ٣٤٨ هـ حينما أخذها جوهر المقلي للخلافة الفاطميين ، ثم

وهكذا دخلت هذه المنطقة تحت النفوذ الاموى .

وبطبيعة الحال لم تكن الخلافة الفاطمية لتسكت على هذا ، وبذلك يبدأ الصراع جليا بين الخلافتين على أرض المغرب ، ويستعد المنصور بن أبى عامر لخوض هذا الصراع الذى يمكننا أن نقول أنه مر بمرحلتين رئيسيتين نفصلهما فيما يلى :

٢ - الصراع مع الفاطميين :

المرحلة الاولى :

فى سنة ٣٦٩ هـ تقدم يوسف بن بلكين الصنهاجى من افريقية الى المغرب بايعاز من الخليفة المعز الفاطمى بجيش ضخم وفتح فاس وسجلماسة وطرد عمال بنى أمية الموالين لزناتة وهزم سائر الامراء الذين تعدوا لمقاومته من زناتة وغيرهم واضطرهم الى الفرار شمالا حيث اعتصموا بسبتة . ولما اطمأن يوسف الى تأمين ظهر قواته توجه الى مدينة سبتة ليقضى على من لجأ اليها من زناتة ، وما أن ضرب الحصار حول الحاز الذى يصل مدينة سبتة بأرض المغرب حتى تيقن محمد بن الخير زعيم بنى خزر الزناتيين من اصرار يوسف على القضاء عليهم داخل سبتة فجاز الى الاندلس مستغيثا بالمنصور ابن أبى عامر صاحب السلطة الفعلية بالبلاد ليقف الى جانبهم ضد يوسف بن بلكين زعيم صنهاجة اذ أن قوة زناتة بالمغرب قد ضعفت بسبب هجرة الكثيرين من فرسانها الى الاندلس وبخاصة بعد اعتماد المنصور عليهم فى الجيش للقضاء على العصبية العربية .

وكانت هذه فرصة أتيحت للمنصور ليثبت كفاءته العسكرية فى بلاد المغرب ويساعد حلفاءه من زناتة ضد منافستهم صنهاجة ، ولذا فقد خرج بنفسه لامداد زناتة وقاد جيوش الاندلس حتى الجزيرة الخضراء وعقد لجعفر بن على الاندلسى على حرب يوسف بن بلكين وقبيلة صنهاجة وأمده بالمال ، وأجازه البحر الى المغرب وجاز بنفسه معه واستعدت جيوش الاندلس وفرسان زناتة للقتال . وعندما جاء يوسف بن بلكين وأشرف على جيوش المنصور من أعالى الجبال المطلة على سبتة طاله ما رأى وأيقن استحالة الاستيلاء على سبتة فترك حصارها (١٩) .

= مالبث الخوارج أن استردوها سنة ٣٥٢ هـ وتسمى أميرها من بنى مدرار بالمعتز بالله وظلت المدينة فى طاعته حتى استولى عليها خزرون الزناتى - مفاخر البربر ص ١٦ ، وانظر أيضا : السنوسى : مرقد زناتة من الخلافة الفاطمية " رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ١٩٨٠ " ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(١٩) مفاخر البربر ص ١٧ . وراجع ما ورد من آراء حول هذه النقطة فى كل من : حسن ابراهيم Relations, P. 63. البحث السابق ، السنوسى : مرقد زناتة من

ولم تسمح بعد ذلك عن وقوع صدام بين يوسف بن بلكين والمنصور اذ ظل يوسف مقيما بافريقية حتى توفى سنة ٣٧٣ هـ وتولى أمر افريقية بعده ابنه المسمى بالمنصور غير أنه كان مسالما وظلت علاقته بابن أبى عامر علاقة طيبة(٢٠) .

بعد اخماد ثورة الزعيم الصنهاجى كان على المنصور بن أبى عامر أن يواجه ثورة أخرى قام بها زعيم الاباضية الحسن بن جنون ، ذلك أنه فى سنة ٣٧٣ هـ أخذ الخليفة الفاطمى العزيز بالله يزين للحسن الرجوع الى وطنه والتمسك بدعوة آبائه الاباضية واسترداد ملكهم السائغ فى المغرب(٢١) . وصادف هذا الكلام هوى فى نفس الحسن فانصرف هو ورجاله الى المغرب بعد أن تقوى بالمال اللازم ، واستطاع أن يحصل على ثلاثة آلاف فارس التحم بهم بلاد المغرب ، وسارعت اليه بعض القبائل البربرية وخاصة بعض قبائل زناتة مثل بنى يفرن وعدد كبير من المطويين .

واتصل خبر الحسن وقدومه الى المغرب بالمنصور بن أبى عامر فوجه اليه ابن عمه الوزير أبا الحكم عمرو بن عبد الله المعروف بعسقلاجه فى جيش ضخم وقلده المنصور أمر المغرب ، وسائر أعماله وأمره بقتال الحسن . وعبر عسقلاجه البحر الى سبتة متوجها لقتال الحسن الذى لم يستطع الصمود أمام جيوش المنصور وأعوانه من قبيلة مغراوة الزناتية فأعلن استسلامه طالبا الامان لنفسه على أن يسير الى الاندلس كما فعل فى عهد الخليفة

---

(٢٠) الكامل ج ٩ ص ٣٤ .

(٢١) لم تكن دولة الاباضية دولة مستقلة بل كانت تنضوى تحت لواء المعتلب على المغرب سواء الفاطميين أو الامويين . وقد أعلن الحسن طاعته للخليفة الاموى عبد الرحمن الناصر ثم الحكم المستنصر من بعده ، وعندما قدم يوسف بن بلكين من افريقية غازيا المغرب الاقصى وقتل زناتة وقطع دعوة الامويين ، كان الحسن بن جنون أول من سارع لطاعته مما دفع الخليفة الاموى لان يرسل جيشا لمقاتلته بقيادة محمد بن المطرس سنة ٣٦١ هـ . ودارت بين الفريقين معارك عنيفة انتهت بقتل القائد الاموى وفرار عسكره ، فأرسل الخليفة جيشا آخر يقوده غالب الناصرى ، ولم يستطع الحسن هذه المرة الصمود فطلب الامان ولجأ الى الاندلس ليعيش فى كنف الخليفة الحكم الى أن فسدت العلاقات بينهما وأمر الحكم باخراجه وعشيرته من الاندلس فى سنة ٣٦٣ هـ فتوجه الى مصر حيث لجأ الى الخليفة العزيز الفاطمى واستقر عنده حتى سنة ٣٧٣ هـ حين رحل منها الى المغرب — الزاوى : الاستقصا ج ١ ص ٩٢ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ج ٢ ص ٢٢١ .

المستنصر فأجابه الوزير أبا الحكم الى ذلك وكتب الى المنصور يخبره بقدوم الحسن غير أن المنصور لم يلتفت الى أمان ابن عمه للحسن وأنفذ من قتله فى الطريق وأتاه برأسه وذلك فى سنة ٣٧٥ هـ . وركدت منذ ذلك الوقت ريح العلوية بالمغرب وانقرضت دولتهم وتفرقت الادارسة فى قبائل المغرب(٣٢) .

الى هنا تنتهى المرحلة الاولى من هذا الصراع أيام المنصور بن أبى عامر . ويلاحظ على هذه المرحلة أن الخلافة الفاطمية كانت هى البادئة بالعدوان ، وهى المحركة لـه والمساعدة عليه سواء فى حركة يوسف بن بلكين الصنهاجى سنة ٣٦٩ هـ أو حركة الحسن ابن جنون سنة ٣٧٣ هـ .

ورغم خروج المنصور بن أبى عامر منتصرا فى كلتا الحركتين الا أنه كان يقف موقف الدفاع لا الهجوم(٣٣) . ولكنه لن يستمر على هذا الموقف طويلا اذ كان الوقت قد أزف لتغيير موقفه هذا ليبدأ هو مرحلة جديدة فى هذا الصراع ، مرحلة يكون فيها هو سيد الموقف وهو البادئ بالهجوم .

المرحلة الثانية :

بعد مقتل الحسن بن جنون واستتباب الامور فى بلاد المغرب ، ندب المنصور لحكمها الوزير الحسن بن أحمد بن عبد الودود السلمى وجعله مطلق التصرف فى الاموال والرجال وأوعاه باستمالة البربر فى تلك الاقطار ، فسار الوزير السلمى الى المغرب سنة ٣٧٦ هـ ونزل بمدينة فاس واستطاع ضبطها ، واجتمعت حوله زعماء زناته وبخاصة زعيم مغراوة زيرى بن عطية(٣٤) . واستطاع الوزير السلمى أن يتخذ من زعيم مغراوة عونا له وحليفا لما أبداه من الاخلاص والطاعة للمروانيين فتوطدت

---

(٣٢) السلاوى : المصدر السابق جـ ١ ص ٩٩ ، ابن عذارى : البيان جـ ٢ ص ٢٨١ ، وراجع : Bleye : Manual de Hist. de Esp. T.I, P. 432,433.

(٣٣) لاشك أن هذا يرجع فى المقام الاول الى انشغاله الشديد بتزواته العديدة الى الدويلات المسيحية فى شمال شبه الجزيرة الايبيرية مما كان يستنزف وقته وجهده ، الا أنه كان يعتبر هذا واجبه الاول والمقدس ، اذ فى محاربته لهذه الممالك النصرانية جهاد فى سبيل الله سعى اليه بكل ما يملك من قوة - راجع ما ورد للمؤلف بكتابه : دراسات فى تاريخ اسبانيا فى العصور الوسطى جـ ١ ص ١٢٢ - ١٣٦ تحت عنوان : المنصور ابن أبى عامر ، بين الجهاد والدكتاتورية .

(٣٤) هو زيرى بن عطية بن عبد الله بن خيادلت بن محمد بن خزر الزناتى المغراوى . يقول ابن أبى زرع أنه ملك على زناتة سنة ٣٦٨ هـ فقام على المغرب بدعوة الطيفة هشام =

لقاءت بينهما ، واستدعى المنصور زيرى للوفادة عليه بقرطبة لمكافأته على اخ
ير السلمى والدعوة الاموية فوفد زيرى على المنصور الذى أحسن استقباله وأسبغ عليه
را من مظاهر العطف والتكريم ، ثم أوعز اليه بقتال يدو بن يسلى وبنى يفرن
، الفاطميين(٢٥) . وهنا يبدو مدى دهاء وسياسة ابن أبى عامر .

لما رجع زيرى الى المغرب اجتمع هو والوزير ابن عبد الودود على قتال يدو ، وبالفعل
وه وانتصروا عليه ، ولو أن الوزير ابن عبد الودود قد قتل فى المعركة ، ولذا فقد
المنصور لزيرى بن عطية على المغرب وفاس وذلك سنة ٣٨١ هـ وأمره بضبط شئون المغرب
عاون مع أصحاب ابن عبد الودود . واستقام لزيرى أمر المغرب وارتفع شأنه وقوى
نه غير أنه لبث مشغولا بأمر خصومه من بنى يفرن وغيرهم ممن كانوا يخرجون على طاعة
ويين . ومن أهم ما قام به فى هذا الصدد انتصاره على أبى البهار بن زيرى بن مناد
هاجى الذى حارب ابن أخيه منصور بن بلكين صاحب افريقية وحليف الفاطميين وانتصر
، وخلع دعوة العبيديين وتقلد دعوة المرواديين وملك تلمسان وتونس ووهران وتلى
جال وونشريش وغيرها من بلاد الزاب وخطب للخليفة الاموى هشام المؤيد وحاجبه
نصور بن أبى عامر . ولما وصلت بيعة أبا البهار للمنصور بعث اليه بعهده على
بيده من البلاد كما أرسل له هدية وعلما وأربعين ألف دينار . الا أن ولاء أبى البهار
يستمر لاكثر من شهرين نقض بعدهما الطاعة وعاد الى العبيديين . ولما بلغ المنصور
كتب لزيرى بن عطية بعهده على جميع بلاد أبى البهار وأمره بقتاله فسار اليه زيرى
جيش كبير لم يستطع الصمود أمامه فترك الميدان وفر هاربا . وملك زيرى تلمسان
ر البلاد التى كانت تحت سيطرة أبا البهار فانبسط سلطانه بالمغرب من السوس الاقصى
الزاب ، وكتب بالفتح الى المنصور بن أبى عامر وبعث له بهدية عظيمة فسر المنصور
يرا وكافأ زيرى بأن كتب له بتجديد عهده على بلاد المغرب وذلك سنة ٣٨١ هـ . وأقام

السؤيد وحاجبه المنصور - روض القرطاس ص ٦٨ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام
ج ٢ ص ١٥٥ .

) يذكر السلاوى أن مغراوة وبنى يفرن قبيلتان من أعيان زناتة ، ومغراوة وبنى يفرن
أخوين شقيقين . ويذكر أيضا أن المنصور حاول أن يستميل يدو زعيم بنى يفرن أول
الامر وأرسل يستدعيه الى الاندلس مثلما فعل مع زعيم مغراوة ، غير أن يدو رفض اجابة
طلب المنصور ورد عليه قائلا : " متى عهد المنصور حمر الوحش تنقاد للبياطرة " .
فلم يعقل به المنصور بعد ذلك ، غير أنه أخذ يقلب عليه زيرى اذ كان بينه وبين
يدو منافسات ومنازعات على الرياسة بالمغرب - الاستقصا ج ١ ص ٨٩ - ٩٢ .

زيرى بمدينة فاس وأسكن قبيلته مغراوة فى أنحائها ، ودفع بنى يفرن عن فاس وأحوازها الى نواحى سلا(٢٦) .

وسنحت فرصة أخرى لزيرى بن عطية لالهاب ولائه للمنصور ، وذلك حينما استدعاه هذا الاخير الى قرطبة للمرة الثانية سنة ٣٨١هـ فاستخلف زيرى على المغرب ولده المعز وتوجه الى قرطبة ، وحمل معه للمنصور هدية أخرى . واحتفل المنصور بقدوم زيرى احتفالا عظيما وأنزله بقصر الحاجب المصحفى وأسرف فى اكرامه وغمره بالمال ومنحه لقب « الوزير » وجدد له عهده على المغرب وعلى جميع ما غلب عليه من مدنه . ورجع زيرى الى بلاده ، وما كاد يصل الى مدينة طنجة حتى وافته الاخبار بأن أمير بنى يفرن انتهز فرصة غيابه عن المغرب وهاجم مدينة فاس واستولى عليها وقتل عددا كبيرا من المغراويين ، فأسرع زيرى بايقاف هجمات يدو بن يعسلى ودارت بينهما حروب عنيفة هلك فيها عدد كبير من بنى يفرن ومغراوة ، واستطاع زيرى فى آخر الامر هزيمة بنى يفرن وقتل يدو وأرسل برأسه الى المنصور وذلك سنة ٣٨٣ هـ (٢٧) . وبذلك خلا أمر المغرب لزيرى بن عطية ، ولم يبق له منازع واستقر سلطانه فى جميع أنحاء المغرب ، واستمر على ولائه للمنصور بن أبى عامر والدعوة الاموية .

هكذا كانت سياسة المنصور بن أبى عامر ازاء المغرب فى هذه المرحلة الثانية من صراعه مع الفاطميين ، سياسة قامت على تأليب القبائل والزعماء البربر واستخدامهم كأسلحة فعالة فى هذا الصراع . وفى نفس الوقت كان المنصور أكثر ايجابية فى هذه المرحلة اذ لم يتورع عن التدخل بنفسه وبجنده مباشرة لاخضاع هذا المغرب الاقصى لسلطانه .

٣ - استقلال المغرب ثم عودته كولاية تابعة للاندلس :

أصبح زيرى بن عطية هو الزعيم الاوحد ببلاد المغرب وليس له فيها من منازع ، فأخذت نفسه تجيش بالمطامح الضخمة وعلى رأسها استقلاله بالبلاد دون وصاية من أحد عليه ، وبالفعل نجده فى سنة ٣٨٦ هـ يخلع طاعة المنصور ابن أبى عامر ويطرد عماله من جميع البلاد المغربية ماعدا القواعد الاموية المطلة على المضيق مثل سبتة وطنجة ومليلة .

---

(٢٦) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ٦٨ ، ٦٩ ، السلاوى : الاستقصا ج ١ ص ٩١ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ج ٣ ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، وراجع أيضا :

Pidal : Hist. de Esp. T. IV, P. 430 - 433.

(٢٧) روض القرطاس ص ٧٠ ، الاستقصا ج ١ ص ٩٢ .

وذكر في أسباب الخلاف بين المنصور وزيري روايات مختلفة ، منها أن زيري استقل بالعطاء الذي كان المنصور يجريه عليه كل عام . ومنها أن زيري احتقر لقب الوزارة الذي أنعم عليه به المنصور بن أبي عامر(٢٨) .

ويقال أن من أسباب هذا الخلاف أن زيري أنكر على المنصور استبداده بالخليفة هشام وغيره عليه - ولعل مما يؤيد هذا الرأي أن زيري جعل شعاره وصيحات جنوده في الحرب هشام وبين المنصور عبارة " هشام يا منصور " .

ويقال أيضا أن السيدة صبح أم الخليفة هشام حينما انقلبت على ابن أبي عامر اتصلت بزيري ودفعته الى مناوأة المنصور ، وأغدقت الاموال من بيت المال ووضعتها في جرار وسلمها لزيري حتى يحتشد لها جيشا من المغرب على نفقتها للقضاء على المنصور الذي استبد بالامر واستطاع احباط المؤامرة(٢٩) .

ومهما قيل عن أسباب الخلاف فالامر الذي لاشك فيه هو أن زيري بن عطية كان يتمسر بوزارة نفسه الاستقلال ببلاده ، وأنه اتخذ من هذه المبررات السابقة ومن تمسكه بدعوة المروانية ذريعة لتحقيق أهدافه . ومما يدل فعلا على أنه كان ينوي الاستقلال بلاده أنه عند رجوعه عقب آخر زيارة له للمنصور بالاندلس ، وبمجرد عبوره العدوة خاطب قائلا : " الآن علمت أنك لي " (٣٠) . ويبدو أنه ظل متمسكا بدعوة المنصور حتى

---

(٢٨) يذكر ابن أبي زرع ، والسلاوي أن زيري حينما ناداه أحد رجاله بالوزير صاح قائلا : " وزير من يالكع ، لا والله الا أمير بن أمير ، واعجبا لابن أبي عامر ومخرقته ، لان تسمع بالعبيدي خير من أن تراه ، والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله ، وان له منا ليوما " - روض القرطاس ص ٦٩ ، الاستقصا ج ١ ص ٩٢ .

(٢٩) ابن بسام : الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ٥٢ - ٥٤ ، ابن عذارى : البيان ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٣٠) تحقيقا لهذه النزعة الانفصالية قام زيري ببناء مدينة جديدة ليتخذ منها عاصمة لدولته ، وهي مدينة وجدة التي بناها سنة ٣٨٤ هـ أي قبل عامين من اعلان استقلاله عن المنصور . وقد بناها بالقرب من الحدود الجزائرية وجعلها عاصمة لدولته المغراوية ، لان مدينة فاس بموقعها في الطرف الغربي للمغرب وقربها من مواطن القبائل أصبحت لا تصلح لمشاريعه ، فكان انشاء مدينة " وجدة " خطوة هامة نحو اعلان استقلاله - راجع : روض القرطاس ص ٦٩ ، ٧٠ ، الاستقصا ج ١ ص ٩٢ .

ذلك الوقت لأنه كان فى حاجة الى معاونته ضد خصومه من بنى يفرن ، ولكن عندما قضى على هؤلاء الخصوم لم يعد هناك مبرر لطاعة المنصور .

وما أن علم المنصور بأمر زيرى حتى سارع بعزله من الوزارة وقطع ما كان يجريه عليه من راتبها ، وأعلن براءته منه ومحا اسمه من ديوانه ، ثم أرسل اليه جيشا عظيما بقيادة واضح الصقلبى قائد ثغر مدينة سالم الذى أعيد بناؤه وتحصينه فى عهد المنصور . وعبر واضح المضيق سنة ٣٨٧ هـ واستقر بمدينة طنجة حيث انضم اليه عدد كبير من قبائل البربر الموالين للمنصور . ثم خرج واضح من طنجة يريد مدينة فاس غير أنه لم يستبق التقدم أمام هجمات زيرى الا لمسافة قصيرة ، والتقى الفريقان بوادى رادات[٣١] ، فكانت بينهما حرب شديدة استمرت ما يقرب من ثلاثة أشهر وانهزم فيها واضح واضطر الى الانسحاب الى طنجة . وكتب واضح الى المنصور يطلب المدد فخرج المنصور بنفسه بجيوش الاندلس الى الجزيرة الخضراء ثم أرسل هذه الجيوش الى سبتة وأسند قيادتها هذه المرة الى ابنه عبد الملك وأمره بالتوجه الى زيرى لقتاله ، وبقى المنصور فى الجزيرة الخضراء ليرتب سير المعارك عن كثب . ويبدو أن المنصور قد صمم هذه المرة على الاستيلاء على المغرب الأقصى وحكمه حكما مباشرا بجعله ولاية تابعة للاندلس .

وبلغ زيرى قدوم عبد الملك فسارع الى الاستعداد لملاقاته ، والتقى عبد الملك وواضح الصقلبى بزيرى وقواته بوادى منى من أحواز طنجة ودارت بينهما معارك عنيفة واستطاع أحد الغلمان السود واسمه سلام أن يتسلل الى خيمة زيرى ويصيبه بطعنة فى رقبته وأسرع الى عبد الملك ليبشره بقتله[٣٢] ، فحمل عبد الملك على جنود زيرى

---

(٣١) يذكر البكرى أنه نهر فى شمال المغرب بالقرب من مدينة البصرة التى اندثرت الآن وقد اختلف المؤرخون حول موضعها ، ومنهم من أقوالهم أنها كانت قريبة من طنجة وأن نهر رادات كان فى أحوازها - راجع : أعمال الاعلام جـ ٣ ص ١٥٨ حاشية (١) .

(٣٢) لم يمت زيرى كما اعتقد هذا الغلام سلام ولكنه جرح فقط . ويقال أن هذا الغلام أراد قتله انتقاما منه وأخذا بثأر أخيه الذى كان زيرى قد قتله .
هذا ، بينما يذكر ابن عذارى أن الخير بن مقاتل ، وهو ابن عم زيرى ، هو الذى غدر به وطعنه برمح وهرب - راجع : روض القرطاس ص ٧١ ، الاستقصا جـ ١ ص ٩٣ ، البيان جـ ٢ ص ٢٨٢ .

وكثر قتله فيهم ، واستولى على ما معهم من مال وسلاح . كذلك استولى على مدينة
دلا وسجلماسة وغيرها من المدن الهامة فدان المغرب الاقصى للداعية المنصور .
أما زيرى فانه لم يمت ولكنه جرح فقط ، وقد مشى فى طريقه حتى انتهى الى موضع
ضيق الحيلة بالقرب من مكناسة فعسكر به واجتمع اليه ألفان من قومه فعزم
رجوع والثأر من عبد الملك فاتصل خبره بعبد الملك الذى انتقى خمسة آلاف فارس
حت قيادة واضح ووجههم لقتاله .
واضح بزيرى فهزمه وأسر ما يقرب من ألف رجل من أشراف مغراوة وذلك سنة ٢٨٧ هـ
رى فى شرذمة من أصحابه واتجه الى مدينة فاس غير أن أهلها أغلقوا الابواب فى
تصرف بعدها الى الصحراء هاربا من عبد الملك ونزل بلاد صنهاجة[٣٣] ، بينما
الملك مدينة فاس واستقبله أهلها مرحبين ، وكتب الى أبيه بالفتح . وقرئ
فتح على منابر مساجد الاندلس كلها مما يدل على أهمية ذلك بالنسبة للمنصور
عامر الذى حقق غرضه فجعل من المغرب ولاية تابعة للاندلس ، وعلى
اس فقد سارع بالكتابة لولده عبد الملك بعهده على المغرب وأوصاه بحسن السيرة
، وقرئ كتاب المنصور على منبر جامع القرويين فى أواخر سنة ٢٨٧ هـ وانصرف
الى الاندلس واستقر عبد الملك بفاس وظل بها ما يقرب من ستة أشهر حتى
نها وأرسل بدلا منه عيسى بن سعيد صاحب الشرطة فأقام واليا حتى أوائل سنة ٢٨٩ هـ
زله المنصور وولى واضح بدلا منه ، وسيظل واضح على ولاية المغرب حتى وفاة
ور فى سنة ٢٩٢ هـ[٣٤] .

تهز زيرى فرصة اختلاف المناهجة على ملكهم باديس بن منصور بن بلكين وزحف الى
لاهم وهزم جيوشهم ودخل مدينة تاهرت وتنس وتلمسان وملف والمسيلة ، وأقام
ا الدعوة للموحد وحاصر مدينة آشير قاعدة بلاد صنهاجة ، وكتب الى المنصور
ن أبى عامر يطلب منه السماح ووعده بالطاعة اذا أعاده الى ولايته بالمغرب ، غير
ن القدر لم يمهله فمات متأثرا بجراحه سنة ٣٩١ هـ - روض القرطاس ص ٧٢ ،
لمقتطف ج ١ ص ٩٤ ، أعمال الاعلام ج ٣ ص ١٦٠ .

تم انتصار المنصور بن أبى عامر فى سياسته هذه ازاء انتزاع المغرب الاقصى وتحويله
لى ولاية تابعة للاندلس ، الا أنه لم يغفل عن الخط العام السائد فى السياسة الاموية
مواقفها العدائية بالنسبة للخلافة الفاطمية . ففى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم
أمر الله قامت الفتن والفوضى فى برقة وطرابلس بين القبائل البربرية وانشغلت
الخلافة الفاطمية فى هذه الاضطرابات ، وهنا نجد المنصور بن أبى عامر يستغل هذا
الموقف فيثير الفتن ويدبر المؤامرات فى وجه الفاطميين ، وفى عقر دارهم ، أى =

وهكذا سيطرت الخلافة الاموية بفضل سياسة حاجبها المنصور بن أبي عامر على معظم بلاد المغرب الاقصى ، وامتدت الدعوة للخليفة الاموي المؤيد حتى مدينة فاس غربا ، ومدينة تلمسان وتاهرت شرقا ، ومدينة سجلماسة جنوبا .
ونلاحظ أن فكرة الانتقام من الخلافة الفاطمية السيعية والقضاء على نفوذها في مصر والشام وافريقية ظلت تراود عقول الامويين في الاندلس رغم بعد المسافات بينهما ، ونجد ذلك واضحا في شعر المنصور بن أبي عامر نفسه حين يقول :

عن قريب ترى خيول هشام ... يبلغ الفيل خلوها والشآما (٣٥)

ومن الغريب أن ما تنبأ به المنصور في شعره هذا كاد أن يتحقق فعلا بعد وفاته بقليل ، اذ يروى المؤرخون أنه في سنة ٣٩٥ هـ قامت في اقليم برقة ثورة سنية خطيرة ضد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، قام بها أحد أفراد البيت الاموي الاندلسي ويسمى الوليد بن هشام بن المغيرة بن عبد الرحمن الداخل ، ويلقب بأبي ركوة ، وكان قد خرج من الاندلس مظهرا التصوف واشتغل بتعليم الصبيان . ولما قوى أمره دعا على المنابر باسم الخليفة الاندلسي هشام المؤيد ، وكان يلعن الحاكم بأمر الله وآباءه ، واستولى على برقة وانتصر على الجيوش التي وجهها اليه الحاكم واستطاع في سنة ٣٩٧ هـ أن يطارد الجيوش الفاطمية حتى أهرام الجيزة ، ولكنه هزم أخيرا وأسر ثم قتل(٣٦) .

كلمة ختام

بعد هذا العرض لسياسة الاندلس ازاء المغرب على عهد المنصور بن أبي عامر يتضح لنا عددا من الحقائق نوجز أهمها فيما يلي :

١) الارتباط الشديد بين كل من الاندلس والمغرب جغرافيا وتاريخيا وسياسيا واجتماعيا . ومن هذا كان الصراع التقليدي بين الفاطميين الاسباني والافريقي حول سيطرة كل منهما على الآخر(٣٧) . وقد ازداد هذا الصراع منذ قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب ، والتي

---

* في مصر ذاتها . يروى ابن حجر العسقلاني أن رجلا أندلسيا حاول اغتيال قاضي قضاة مصر الحسين بن علي الفاطمي أثناء تأديته الصلاة في أحد مساجد القاهرة سنة ٣٩١ هـ .
ومن الملاحظ أن القضاة اخطروا منذ ذلك الوقت الى اتخاذ حرس خاص أثناء الصلاة - راجع : رفع الاصر عن قضاة مصر ، وهو منشور في آخر كتاب الكندي : الولاة والقضاة

ر قيامها قيام الخلافة الاموية بالاندلس .

العداء بين الخلافات الثلاث القائمة آنذاك : العباسية ، الاموية ، الفاطمية .

ننا نلاحظ أنه رغم وجود العداء التقليدى القديم بين الامويين والعباسيين الا أن بعد
افة بينهما حال دون وقوع صدام مباشر بين الطرفين . هذا الى جانب أنهما
نا متفقتين من حيث المنهب . ولكن الخلاف وقع بين الخلافة الاموية السنية والخلافة
طمية الشيعية المجاورة لها فى المغرب ، لاختلاف المنهب وللجوار الجغرافى .

م انتقال الخلافة الفاطمية بعد ذلك الى مصر الا أن الصراع قد ظل قائما ، اذ أن
طميين تركوا خلفاءهم من قبائل مغهاجة على حكم المغرب مما أدى الى ازدياد حدة
راع بين هذه القبائل وبين قبائل زناتة التى لجأت الى الخلافة الاموية بالاندلس .

ازدياد الصراع بين الامويين والفاطميين فى عهد المنصور بن أبى عامر ، ودخول
الصراع مرحلة حاسمة هامة لسببين رئيسيين :

أولهما أن المنصور اعتمد على البربر فى اعادة تنظيم جيشه ، بل ان البربر
وا يحتلون مراكز عديدة فى قطاعات الدولة المختلفة فى داخل الاندلس . ولذلك فقد
المنصور على أن تظل علاقته بهؤلاء البربر ودية حتى يتمكن من تأييد سلطانه فى
ل البلاد ، ولذلك ظهرت سياسة استمالة الحكام الوطنيين بالمغرب بصورة أوضح فى
ه . كما أن عدم خضوع المغرب لطاعة المنصور كان معناه امعانا لتأنه وانتقاما
هيبته داخل اسبانيا الاسلامية وخارجها .

وثانيهما أن المنصور كان حريصا على اخضاع الساحل المغربى لطاعته وذلك بقرض
ين حدود الاندلس الجنوبية حتى يتفرغ لحروبه ضد نصارى الشمال . ولاشك أن هذا كان
د العوامل التى ساعدت المنصور على تحقيق تلك الانتصارات على الدويلات الاسبانية
سيحية فى الشمال .

غير أننا لا نستطيع أن ننكر أن سياسة المنصور فى بلاد المغرب كانت تنطوى على
اع شخصية تتمثل فى تثبيت وتدعيم حكمه فى داخل الاندلس .

لك فانه استطاع بهؤلاء البربر أن يحد من العصبية العربية فى داخل البلاد . وكانت
اعة البربر وحسن بلائهم أثناء حروب المنصور ضد مسيحيى شمال اسبانيا سببا فى
نتصاره فى معارك كثيرة .

شك أيضا أنه كان يعتمد بنجاح سياسته فى المغرب التى بالخلفاء واكتساب شهرة
عد صيت .

ونلاحظ ، من ناحية أخرى ، أن الاستعانة بجنود زناتة واجتذاب سلم فرسانها الى
ندلس قد أدى الى ضعف قوة زناتة بالمغرب وعجزها فى تلك الفترة عن الوقوف أمام

---

٣) راجع ، المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٨٧ ، محمود مكى : التشيع بالاندلس .

صنهاجة رغم التأييد الاموى لزناتة .

كما نلاحظ أيضا أن دخول البربر بأعداد كبيرة الى الاندلس واستقرارهم فيها سيؤدى الى عواقب وخيمة فيما بعد على البلاد ، اذ أن هؤلاء كانوا يميلون دائما الى النزعة القبلية الانفصالية .

و كان المنصور يقدم المساعدات لقبيلة زناتة ضد صنهاجة ، الا أن تدخله كان فقط حين كانت صنهاجة على علاقات عدائية به ، وهذا يفسر أن جل همه لم يكن الا دخول تلك المنطقة تحت طاعته بغض النظر عن الخلافات بين قبائلها . وأخيرا حينما وجد المنصور أن الفرصة قد سنحت وقضى على مسلم خلافات وقوى القبائل البربرية بالمغرب الاقصى ، لم يتورع عن ضم هذا المغرب تحت لوائه وجعله ولاية تابعة للاندلس يقوم هو بتعيين وعزل عمالها .

هكذا كان الدور الذى لعبه المنصور فى تشكيل سياسة الاندلس الافريقية وهو دور لايقل خطورة عن دوره فى تشكيل سياسة الاندلس الداخلية على وجه العموم .

"""

(أ.د . أحمد ابراهيم الشرباوى)